

استراتيجية تدرج المعنى في القرآن في ظل الإضراب (بل، أم، و أو أنموذجاً)

Strategy of incorporating meaning in the Qur'an in light of
the strike (bal, am, and or as an example)

بهمن هاديلو*

*مجتبی محمدی مزرعه شاهی

*حمید متولی زاده نائینی

تاريخ النشر: 31/ 12/ 2024	تاريخ القبول: 31/ 12/ 2024	تاريخ الإرسال: 01/ 02/ 2024
---------------------------	----------------------------	-----------------------------

الملخص

بما أنّ في القرآن الكريم تختلف المواقف و المخاطبون فلا يعبر عن مواقفه تجاه مخاطبيه المتعددة على حدٍ سواء و بشكل متساوٍ بل إنّ الخطاب فيه أحياناً يكون ناعماً و أحياناً شديداً وفقاً للموضوع. و يستخدم استراتيجيات مختلفة ليكون له تأثير أكبر على الجمهور. التدرج هو أحد أكثر الاستراتيجيات فعالية حيث يلعب دوراً نشطاً في أبعاد مختلفة و من تلك الأبعاد هو التعبير عن المعاني التي تصبح شديدة في المواضيع التي تقتضيها. وأسلوب الإضراب من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم كبنية لغوية لتحقيق هذا الهدف. و قد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، فقامت بدراسة النماذج القرآنية و ملاحظة طريق الإضراب الانتقالي في التعبير عن المعاني المتدرجة.

المؤلف المرسل: حميد متولى زاده hamidmotavalizade@gmail.com

*hadilo@quran.ac.ir (جامعة علوم القرآن الكريم ومعارفه، قم، إيران)

*mazraehshahi@quran.ac.ir (جامعة علوم القرآن الكريم ومعارفه، قم، إيران)

*hamidmotavalizade@gmail.com (جامعة دارالمعلمين، قم، إيران)

أيضاً تمّ هذا البحث بهدف إظهار التطبيق العملي لأسلوب الإضراب واستبعاده من المناقشات النظرية والكشف عن آلياته التي أستخدمت في القرآن ويسعى أيضاً إلى الإجابة عن سؤالين أساسيين: أولاً، ما هو تأثير أسلوب الإضراب على تدرج المعاني؟ ثانياً، كيف تسمو المعاني بآليات الإضراب و في أي مجال استخدم القرآن تلك الآليات؟ حسب الدراسة التي أجريت في هذه الدراسة يمكننا أن نشير إلى أنّ البحث كشف العلاقة العميقة والصلة الوطيدة بين القضايا النحوية و القضايا الدلالية و البلاغية. يرى البحث بأنّ القرآن الكريم استثمر أسلوب الإضراب الإنتقالي في تدرج المعنى وله دور بناء و محوريّ في ترقى المعنى و تدرجهو حسب الإحصاء الذي تم إجراؤه حول حرف بل، فقد وجد أنّها توحى دلالة الإضراب الإنتقالي التدريجي في اثنين و تسعين موضعاً من إجمالي ستة و عشرين و مئة موضعاً في القرآن الكريم و معظم استعمالها تكون في توبيخ الكافرين و المنكرين، و أيضاً بدا للبحث بأنّ أم المنقطعة في استخدامها كالإضراب الإنتقالي حقق تشديد المعنى تدريجياً من الشنيع إلى الأشنع و من الفضيع إلى الأفضع و كثيراً ما استعملت في توبيخ المنكرين و تقبيحهم. و أمّا بالنسبة إلى أو فقد لمسنا أنّ التعبير القرآني خاطب بها في معظم ورودها المؤمنين.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الإستراتيجية، تدرج المعنى، الإضراب.

Abstract

Since in the Holy Qur'an the positions and the addressees differ, it does not express its positions in front of its multiple addressees equally and equally, but the discourse in it is sometimes soft and sometimes severe according to the topic. It uses different strategies to have a greater impact on the audience. Gradation is one of the most effective strategies, as it plays an active role in different dimensions, and one of those dimensions is the expression of meanings that become intense in the places where they are required. The turning away method is one of the methods used by the Holy Quran as a linguistic structure to achieve this goal. This study relied on the descriptive analytical approach, so it studied the Qur'anic models and observed the

way of the transitional turning away in expressing the gradual meanings. This research was also carried out with the aim of showing the practical application of the striking method, excluding it from theoretical discussions, and revealing its mechanisms that were used in the Qur'an. It also seeks to answer two basic questions: First, what is the effect of the striking method on the gradation of meanings? Secondly, how do the meanings transcend the strike mechanisms and in what field did the Qur'an use these mechanisms? According to the study conducted in this study, we can point out that the research revealed the deep relationship and the close link between grammatical issues and semantic and rhetorical issues. The research finds that the Holy Qur'an invested the method of transitional turning away in the gradation of meaning and it has a constructive and pivotal role in the progression and gradation of meaning. Twenty-hundred places in the Holy Qur'an, and most of its use is in rebuking the unbelievers and the deniers, and also it seemed to the research that the mother of the uninterrupted in its use as the transitional turning away achieved a gradual tightening of the meaning from the heinous to the ugliest and from the horrible to the most horrible, and it was often used to rebuke the deniers and make them look ugly. . And as for me or we have sensed that the Qur'anic expression addressed it in most of its occurrences to the believers.

Keywords: *The Qur'an, strategy, promotion of meaning, the turning away*

*** **

المقدمة.

الدارس في القرآن الكريم يجد أنّ هذا الكتاب استثمار في خطابه استراتيجيات متعددة لكي يستطيع أن ينفذ فينفس مخاطبيه و يقنعهم و من تلك الإستراتيجيات هي إستراتيجية التدرج. التدرج كسنة من سنن الله سنة شائعة في المجالات المختلفة. و من المجالات التي استثمار القرآن الكريم سنة التدرج هو مجال خطابه لمتلقيه. ف لأهمية التدرج في التأثير على الآخرين، قمنا بتسليط الضوء على منهج التدرج في الخطاب القرآني، و كنّا نودّ أن نستدعي أهم الوسائل التي شكلت هذا المنهج في القرآن الكريم، لكننا بما أنّ استدعاء كل الوسائل التي تشكل هذا المنهج يستغرق نقاشاً طويلاً نكتفي بواحدة منها و هو الإضراب الذي له حضورٌ شائع بنوعيه الإبطالي و الإنتقالي فيالنص القرآني. قسّمنا البحث إلى القسمين و تناولنا في القسم الأول الجانب النظري للبحث و قمنا فيه بتعريف التدرج و الإضراب و أهمية التدرج... ثم عرجنا إلى القسم الثاني و عالجنا فيه الجانب التطبيقي و اتينا فيه بنماذج متعددة من الآيات التي تشتمل آليات الإضراب. أيضاً جديرٌ بالذكر بأنّنا قمنا بإحصاء حرف بل في القرآن الكريم و سردنا انواعها في جدول، أما بالنسبة إلى حرفي أم و أوفسبب الاختلاف الكبير بين المفسرين و النحويين في دلالتهم ما قمنا بإحصائهما و اكتفينا بإتيان النماذج منهما و تطرقنا إلى دلالتهم و دورهما في تدرج المعاني و ترقمها من خلال الآيات التي وظّفتهما كأسلوب الإضراب الإنتقالي التدريجي.

أسئلة البحث

بناءً على ما سبق، تسعى هذه المقالة للإجابة على السؤالين التاليين:

ما هو دور الإضراب في التعبير عن المعاني المتدرجة؟

كيف تسمو المعاني بآليات الإضراب و في أي مجال استخدم القرآن تلك الآليات؟

1-1. خلفية البحث:

لقد سميتُ هذا البحث «استراتيجية تدرج المعنى في القرآن في ظل الإضراب» و لم أجد دراسة علمية متخصصة تناولت أسلوب تدرج المعاني في ظل الإضراب؛ بل إن أفراد هذا الأسلوب بدراسة علمية تطبيقية في القرآن كله يعد نهجا جديداً، و ممن اطلعت على أبحاثهم في هذا المقام صلاح الدين الزعبل والذيله مقالاً مطبوعاً في مجلة التراث العربي عام 1982 للميلاد في العدد 8 من الصفحة 31 إلى 51، تحت عنوان «تدرج المعاني». يتطرق الكاتب فيه دلالات اللفظ من طريق المجاز و النقل و مراده من النقل هو المجاز الراجح. و لم يدرس تدرج المعاني في معناه الوضعي و لم يقتصر بحثه على القرآن.

ومن الدراسات التي تجدر بالإشارة دراسة الدكتور سليمان الهمداني بعنوان «أسلوب الترتي و التدرج في القرآن» المنشورة في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة عام 1403، في- العدد 3 و هي دراسة فيها جدة و نوع شمول و شيء من الإستقصاء لأنواع الترتي و التدرج في القرآن؛ بدأها بالترقي و التدرج في الأمثال، ثم من الأدنى إلى الأعلى... و التدرج من الفضول إلى الفضائل و التدرج في صفات المتقين... و نحو ذلك مما يعد جديداً مفيداً. و لكنه لم يتناول أسلوباً معيناً ينتهي استخدامه إلى التدرج في المعنى.

2. الجانب النظري

قبل أن نخوض في صلب الموضوع علينا أن نتعرف التدرج و الإضراب و بعض الآراء التي قدمت حولهما من قبل العلماء.

1-2. التدرج لغة و اصطلاحاً

بالنظر في معاجم اللغة العربية نجد أن كلمة (درج) قد جاءت بمعنيتين، والمضي فيه. ففي معجم مقاييس اللغة: (درج) الدال والراء والجيم أصل واحد يدل على مضي الشيء، والمضي فيه، من ذلك قولهم: درجال شيء، إذا مضى لسبيله (ابن فارس، 2: 275/1404).

و في لسان العرب: «يقال: درجت العليل تدرجاً، إذا أطعمته شيئاً قليلاً، حتى يتدرج إلى غاية أكله، كما كان قبل العلة درجةً درجةً» (ابن منظور، 2: 267/1414).

ومن خلال ما سبق نعلم أن اللفظ جاء فعلاً مجرداً، ومزيداً بالتضعيف، وجاء اسماً، ومع الاختلاف اليسير في معاني الكلمات، إلا أنها تدل على المشي والحركة الهينة، والصعود في المراتب.

لا يختلف معنى التدرج في الاصطلاح عن معناه في اللغة، فجماع دلالات التدرج: أنه أخذ الأمر شيئاً فشيئاً، لا دفعة واحدة.

أو: هو الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى أعلى منها، وأرفع في الحس، أو في المعنى، أو في كليهما، وفي ضوء هذا المعنى قيل لمنازل الجنة: درجات من جهة أن بعضها يرتفع فوق بعض أخذاً من الدرجة التي تعني الرفعة والمنزلة.

والتدرج في الدين يعني: الدخول فيه شيئاً فشيئاً، رويداً رويداً، واستدراج الناس إليه درجة درجة.

المعنى الإصطلاحي للتدرج لا يتعد عن المعنى اللغوي بحيث قيل فيتعريفه بأن التدرج التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وفق طرق مشروعة مخصوصة (المطلق، 12:1417).

وعزفه الدكتور آلعرعور بقوله: «هو الانتقال بالمدعو من الأسهل إلى الأصعب، و من كلية إلى أخرى، و من الكليات إلى الجزئيات، و من الدعوة النظرية إلى الدعوة العملية التطبيقية، و من الإيمان إلى الأعمال، و من التوحيد إلى العبادات. و الانتقال به في باب المحرمات، من محرم إلى آخر، و من تحريم الكبائر إلى تحريم الصغائر؛ حتى يصل المدعو إلى مرتبة التكيف مع كل توجيه، و الانصياع لكل أمر» (آل عرعور، 2005: 140).

كما نلاحظ أنّ كلا التعريفين موجه إلیالتدرج في التشريع أكثر منه إلیالتدرج في المعنيالذي هو مرادنا في هذه المقالة لذاك فإنّه يمكن تعريف التدرج في المعنيبأنّه الترقى في معنيالكلام أي الصعود درجة درجة من اللين و الملاطفة إلیالشدة و الغلظة في موضوع ما.

لم يكن للتدرج و الترقى مصطلح بلاغي مستقر مشهور عند أصحاب الدراسات البلاغية الذين عرف عنهم التأصيل و التقعيد في البحث البلاغي كعبد القاهر الجرجانيأو أبي يعقوب السكاكي، أو الخطيب القزويني، و إنما وردت إشارات عامة في مواضع متفرقة. و نبه عليه الزمخشري في الكشف في مواضع تتعلق بالتقديم و الترقى من الأدنيإلیالأعلى، و هذا ظاهر في تفسيره للبسملة (الزمخشري، 1407: 214/1) بل نص الزمخشري على أنّ علم

المعاني لا يقتضي غير أسلوب الترقى و ورد ذلك في تفسير قوله تعالى: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا» (النساء/172) في تقديم ذكر المسيح على الملائكة (الزمخشري، 1407: 594/1).

كأنّي بالزمخشري من خلال فحوى ما تقدم عنه ينظر في ترتيب الأهم بالتقديم و الأولى بالتأخير، بحيث يبني عليه الترقى في الإفادة الكامنة فيما يؤخر مما له علاقة بالمعنى في المفردات المشتركة في معنى واحد بدليل أنّ كلامه عنه ورد في البسملة و آية النساء في مفردين يلتقيان في معنى متقارب في حين أنّ المراد من التدرج و الترقى الذي يرمي إليه هذا البحث هو الانتقال بالمعنى في تدرج دقيق عام إلى ذروته. و من أقرب المباحث البلاغيين لمعنى الترقى و التدرج في المعاني في سبيل إيفائها حقها مبحث «التخلّص» القائم على مراعاة الملازمة بين المعاني و الربط فيما بينها، مع الأخذ في الحسبان حالة المتلقي النفسية، الذي يُهَيَّأُ فيها للانتقال من معنى إلى آخر في لطف خفيّ يدركه الذكي (التفتازاني، 1992: 4/534).

و قد أحسن أحد المتأخرين في حديثه عن الانتقال بين المعاني المتقاربة عندما قال: «و من الانتقال البديع ما يشبه الانتقال من فرع من فروع الشجرة إلى فرع آخر منها، بينهما ملازمة أو تراكب أو إلى فرع آخر من شجرة أخرى تلامست أغصانها أو تداخلت و تراكبت» (حينكة الميداني، 1996: 561). فهو انتقال بين المعاني على سبيل تصعيدها و تناسل أطراف المعاني في أثناء ذلك للوصول إلى ذروتها لتحقيق الغاية من إيرادها، و هذا هو الذي يرمي هذا البحث إلى إثباته و تقرير أمره في المعنى الواحد و ليس المراد الانتقال بين المعاني المستقلة.

2-2. أهمية التدرج

اهمية التدرج تكمن في نقلة شعورية و فكرية، تنقل النفس لتوقظ قواها الداخلية بحيث تشعر باللذة و النشوة، و في ذلك إهتمام من المبدع بالمتلقي، و جذب نفسه الشاعرة إليه: «و ما دام الأديب في حاجة إلى جذب النفس و الإستيلاء على أحاسيسها و

مشاعرها ليضمّن استجابتها له فيما سيدفعه إليها من انفعالاته و أحاسيسه، و وجدانه و إدراكه فإنّ الأديب الماهر من يتوصّل إلى ذلك باستثارة النفس بحيث تندفع إليه اندفاعاً ذاتياً نابعاً من كيانها، و تطلّ تدور معه في فلكه حتّى ينتهي من مداره دون أن تملّ سيرته و التحليق في مسراه» (منصور عبدالرحمن، 1980: 436). ففي الخروج يتجسّد الإهتمام بالملتقي، و إثارتة، لأنّ نفسه تهتزّ كلما أحسّ بانتقال المبدع فجأة من المعنى الذي كان فيه إلى معنى آخر جديد قد يكون مرتبطاً بالمعنى الأوّل و هو ما يبيّن عن تأثير الهرّ على ذهن الملتقي (الثقفي، 2003: 96).

2-3. الإضراب

هو من ضرب يضربه ضرباً، و ضرب في الأرض ضرباً و مضرباً بالفتح أي سار في ابتغاء الرزق و الإضراب «هو الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه، نحو ضربت زيدا بل عمراً» (الجرجاني، 1983: 29) و هو نوعان الإضراب الإبطالي و الإضراب الإنتقالي و فرق عباس حسن بينهما إذ قال «الإبطالي هو الذي يقتضي نفي الحكم السابق، في الكلام قبل «بل» و القطع بأنّه غير واقع، و مدعيه كاذب، و الإنصراف عنه واجب إلى حكم آخر يجيء بعدها. نحو الأجرام السماوية ثابتة، بل الأجرام السماوية متحركة. فالحرف «بل» بمعنى لا النافية أفاد الإضراب الإبطالي الذي يقتضي نفي الثبات و نفي عدم الحركة عن الأجسام السماوي؛ لأنّ هذا الثبات أمر غير حاصل، و من يدعيه كاذب فكأنّ المتكلم قال: الأجرام السماوية ثابتة. لا، فالأجرام السماوية متحركة و ليست ثابتة؛ فأبطل الحكم الأوّل و نفاه و عرض بعده حكماً جديداً ... و الإنتقالي هو الذي يقتضي الإنتقال من غرض قبل الحرف: «بل» إلى غرض جديد بعده، مع إبقاء الحكم السابق على حاله، و عدم إلغاء ما يقتضيه. كقوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» (الأعلى/14-16) (حسن، د.ت: 623/3) و أحرف الإضراب بل و أم (المراي، 1992: 253/1)، و أو بمعنيل على قول الفراء في قوله تعالى: «وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» (الصافات/147) (الفراء، د.ت: 72/1).

عليالرغم من أنّ الإضراب انقسم إلى نوعين أيالإبطالي و الإنتقالي عند النحويين و البلاغيين، إلا أنه يجب أن ننتبه إلى هذه النقطة، بأن القرآن الكريم يختلف عن النصوص

الأخرى ولا يمكن أن يكون فيه نوع الإبطالي من الإضراب و ذلك لأنه صدر من الذي لا خطأ و لا نسيان في كلامه حتى يضرب عنه؛ و هذا ما دعا بعض العلماء إلى القول بأنَّ الإضراب انتقالياً فقط و لا وجود للإضراب الإبطالي و منهم ابن الحاجب و ابن المالك. لكنه بإمعان النظر في الآيات القرآنية نشاهد أنَّ الإضراب يوجد فيها بكلا نوعيه (الإبطالي و الإنتقالي) فيها إلا أنَّ الإبطال الوارد في القرآن ليس عن غلط أو نسيان بل هو لإبطال أقوال الكفرة هذا ما يؤيده ابن قتيبة و يقول بعدم الغلط فيه، و كل ما في الأمر أن الغلط إنَّما لحق كلام الكفرة فطما ادَّعوه كذباً و بهتاناً على الله (ابن قتيبة، 1973: 203). ألفينا الإضراب الإنتقالي وروده في القرآن أكثر من ورود الإضراب الإبطالي، و المؤشر في كون الإضراب إبطالياً أو إنتقالياً هو مصدر القول إنه إن كان المقول عن الخلق كان ابطالياً و إن كان المقول عن الله كان الإضراب انتقالياً.

3. الجانب التطبيقي

في البحث العلمي، على الرغم من أن المناقشة النظرية يمكن أن تقربنا من الهدف، إلا أنَّ دراسة الموضوع عملياً و تطبيق الأمثلة الموضوعية سيصل بنا إلى نتيجة كاملة. بناءً على هذا نتطرق هنا إلى نماذج تطبيقية تحت ثلاثة عناوين لكي نرى كيف يؤدي الإضراب إلى تدرج المعاني في القرآن الكريم.

3-1. فاعلية بل في تدرج المعاني

تعدُّ بل من أشهر حروف الإضراب و معناها الرئيس الذي لا يفارقه الإضراب، و يقع بعدها مفردٌ، و جملةٌ، و قد ينضم إلى الإضراب معانٍ أخر (المراي، 1976: 253). و حسب دراستنا استخدمت في القرآن الكريم في ستة و عشرين و مئة موضعاً و الدلالة التي أوحى بها بل في الكتاب العزيز كانت على الأغلب للإضراب الإنتقالي لما أنَّها وردت في اثني و تسعين موضعاً بمعنى الإنتقال و في أربعة و ثلاثين موضعاً بمعنى الإبطال. الذي يهمننا في هذا المقال هو الإضراب الإنتقالي لدوره في تدرج المعاني. لتوضيح الأمر، نقوم بتحليل بعض الأمثلة:

النموذج الأول

«أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» (الشعراء/26/ 165-166).

بل لإضراب الانتقال من مقام الموعظة و الإستدلال إلى مقام الذم تغلظاً للإنكار بعد لينه لأن شرف الرسالة يقتضي الإعلان بتغيير المنكر و الأخذ بأصرح مراتب الإعلام فإنه إن استطاع بلسان غليظ الإنكار لا يتزل منه إلى لينه و إنه يبدى باللين فإن لم ينفع انتقل منه إلى ما هو أشد و لذلك انتقل لوط من قوله: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ» إلى قوله «بل أنتم قوم عادون» و في الآيتان بالجملة الإسمية من قوله «انتم قوم عادون» دون أن يقول: بل كنتم عادين، مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم، و في جعل الخبر «قوم عادون» دون اقتصار على «عادون» تنبيه على أن العدوان سجية فيهم حتى كأنه من مقدمات قوميتهم كما تقدم» (ابن عاشور، 1420: 186/19). و المعنى أن هؤلاء متجاوزون عن حد الشهوة إذ زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون في المعاصي، و في هذا اتضح معنى الإضراب الذي هو إضراب انتقال من مقام إلى مقام. و هذا الترقى في المعنى و تدرجه يستفاد من حسن نظم المفردات و التركيب في هذه الآية إلى جانب بل الإضرابية التي لها دور محوري و بناء في تدرج المعنى.

النموذج الثاني

«سَيِّئُ الْجَمْعِ وَ يُؤْلُونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمْرٌ» (القمر/45-46).

في معركة بدر الكبرى إذ رأى المشركون عدتهم و عددهم، فأخذتهم العزة بالإثم فكان قولهم: «نحن جميع منتصرون» (القمر/44)، فردَّ عليهم الله تعالى بقوله: «سَيِّئُ الْجَمْعِ وَ يُؤْلُونَ الدُّبُرَ» (القمر/45) و لم يكتف الله في هزيمتهم في الدنيا بل شرح مكانتهم في الآخرة بإستخدام بل فجيء بالإضراب الإنتقالي لينتقل من معنى إلى معنى آخر أي من عذاب شديد خسران المعركة و الهزيمة إلى ما هو أشد و هو عذاب الله في الآخرة. و تأكيداً لهذا الأمر فقد جاء في تفسير الميزان: «أدهى» اسم تفضيل من الدهاء و هو عظم البلية المنكرة التي ليس

إلى التخلص منها سبيل، و «أَمَرَ» اسم تفضيل من المرارة ضد الحلاوة، و في الآية إضراب عن إيعادهم بالانزمام و العذاب الدنيوي إلى إيعادهم بما سيجري عليهم في الساعة و قد أشير إلى نبئها في أول الأنباء الزاجرة، و الكلام يفيد الترتي (الطباطبائي، 1417: 84/19).

فقد سلك القرآن الكريم في هذه الآية مسلك الترتي و التدرج في الإنتقال من الأهون إلى الأغلظ بتوظيف بل الإضرابية. لما عبّر فيه مرارة العذاب تدريجياً و ارتقى المعنى من العذاب الدنيوي الذي يمكن الخلاص عنه أو يسهل تحمله للإنسان إلى العذاب الأخروي الأمر المنكر الفظيع الذي لا يهتدي إلى الخلاص عنه و يُعتبر العذاب الدنيوي من طلائعه.

النموذج الثالث

«إِنَّا لَمُعْزُمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْزُومُونَ» (الواقعة/66-67).

أي إننا مهلكون لهلاك أرزاقنا ثم اضرب عن ذلك منتقلاً إلى أمر آخر هو أهم من الأمر الأول لذا اضرب منتقلاً إليه و هو إنهم محرومون من الرزق و الحرمان هذا نتيجة أعمالهم التي أردتهم و أهلكت أموالهم و منعهم منها.

فقوله بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّحْزُومُونَ أي حرماناً رزقنا إضراب بذكر الأهم فان غرامة المال أسهل من حرمان الرزق المفضى الى الهلاك. هكذا تدرج المعنى من الغرامة إلى الحرمان في ظل اسلوب الإضراب. فالإضراب هنا له دورٌ بارزٌ في نظم الآية و تركيبه و له دلالة خاصة به يؤدي إلى ترقى المعنى و تدرجه. فلو لم يكن هذا الإضراب مذكوراً في الآية لما تُستفاد منها هذه الدلالة. ومن ذلك: ما جاء في تفسير قوله تعالى: «بَلْ إِذَا زُكَّ عِلْمُهُمْ فِي لَآخِرَةٍ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ» (النمل/ 66) قال الألوسي: وقوله تعالى: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا إضراب و انتقال عن عدم علمهم بها إلى ما هو أفحش منه ... و هو حيرتهم في ذلك أي بل هم في شك عظيم من نفس الآخرة و تحققها كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التي ستقع فيها، و قوله سبحانه: بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ إضراب و انتقال عن وصفهم بكونهم شاكين إلى وصفهم بما هو أفظع منه و هو كونهم عمياً قد اختلت بصائرهم بالكلية بحيث لا يكادون يدركون طريق العلم بها و الإضرابان من باب الترتي من الوصف بالفظيع إلى الوصف بالأفظع نحو ما تقدم و هو وجه حسن (الألوسي، 1415: 224/10).

النموذج الرابع

«أَوْ كُلُّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» (البقرة/100).

في هذه الآية أيضا «بل» تكون للإضراب الإنتقالي لأنَّ فيه ترقياً من الأغلظ إلى الأشدَّ غلظة، و كأنَّه تعالى أراد تسليية الرسول – صلى الله عليه و سلَّم- بعد كفر اليهود بما أنزل عليه من الآيات بأنَّ ذلك ليس ببدع منه بل هو عادة سلفهم من نقضهم العهود و المواثيق حالاً بعد حالٍ.

و هذا من أفانين البلاغة و هو أن يظهر المتكلم أنه يوفي حق خصمه في الجدل فلا ينسب له المذمة إلا بتدرج و تدبر قبل الإبطال. و لك أن تجعلها للانتقال من شيء إلى ما هو أقوى منه في ذلك الغرض لأن النبذ قد يكون بمعنى عدم العمل دون الكفر و الأول أظهر (ابن عاشور، 1420: 1/608).

النموذج الخامس

في قوله تعالى «وَقَالُوا أَلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» (الزخرف/58). نرى كلمتين ذواتا قرب في المعنى و هما جدلاً و خصمون. الجدل في اللغة هو «دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه و هو الخصومة في الحقيقة» (الجرجاني، 1983: 33). و من ذلك يتبين أنَّ الجدل يتضمن في معناه الخصومة، التي تعني في اللغة الجدل (ابن منظور، 1414: 11/105). و قد جاء التعبير القرآني بـ «بل» ليضرب منتقلاً إلى المعنى الأشد و الأقوى و هو المبالغة في الخصومة يدلُّ على ذلك مجيء «خصمون» بكسر الصاد و مفرداً «خَصِمَ» و تعني الشديد الخصومة (ابن منظور، 1414: 12/181). فالإضراب الإنتقالي بـ «بل» هنا استخدمت لغرض الرقي و الإنتقال من المعنى الشديد إلى المعنى الأشد و في ذلك تدرج في المعنى و الدلالة استثماره النص القرآني ليقرر و يرسخ المعنى المراد في ذهن متلقيه.

استراتيجية تدرج المعنى في القرآن في ظل الإضراب (بل، أم، و أوأ نموذجاً)

كما نشاهد في النماذج المذكورة أنفاً من خلال دراستنا، أفادت بل الإضراب الإنتقالي التدريجي من المعنى الشديد إلى المعنى الأشد و من صورة الفضيعة إلى الأفضع.

جدول 1 - الآيات التي استخدمت فيه بل بمعنى الإنتقال

السورة	الآية التي استخدمت فيه بل بمعنى الإنتقال	السورة	الآية التي استخدمت فيه بل بمعنى الإنتقال	السورة	الآية التي استخدمت فيه بل بمعنى الإنتقال
البقرة	259-100	العنكبوت	63-49	الواقعة	67
آل عمران	150-169 180	الروم	29	الملك	21
الأنعام	41-28	لقمان	25-21-11	القلم	27
الأعراف	179-81	السجدة	10	المدثر	53-52
يونس	39	سبأ	41	القيامة	20-14-5
هود	27	فاطر	19	الإنفطار	9
يوسف	83-18	يس	19	المطففين	14
الرعد	33-31	الصفات	30-26-12	الانشقاق	22
الحجر	63	ص	8-2	البروج	21-19
النحل	75	الزمر	66-29	الأعلى	16
الكهف	58-48	الزخرف	29-22	الفجر	17
طه	66	الدخان	9		
الأنبياء	42-40-24 63-56-44	الاحقاف	28		
المؤمنون	70-63-56 90-81-71	الفتح	12-11		
النور	11	الحجرات	17		

الفرقان	44-40-11	ق	15-5-2		
الشعراء	166	الذاريات	53		
النمل	36-47-55 60-61-66	الطور	36-33		

2-3. فاعلية أم فيتدرج المعاني

نُعدُّ (أم) بناءً على أقسام الكلمة حرفاً، فتكون بذلك خاليةً من أية إرتباطاتٍ موقعية للإعراب، كم أنّها لا تدلُّ على معنى في ذاتها إلا إذا ارتبطت بعلاقات تركيبية (الأنباري، 1999: 221). فتكون إمّا متّصلة و إمّا منقطعة و يقصد بالإتصال و الإنقطاع معادلتها للهمزة. يعني ذلك أنّ معادلتها للهمزة يجعلها متصلةً بالكلام الذي قبلها، و عدم معادلتها للهمزة يجعلها منقطعة عن الكلام الذي قبلها (السيراقي، 1974: 141/2).

أما ما يهمننا من النوعين للأمم في هذه المقالة فهو النوع الثاني أي أم المنقطعة لما لها طاقات دلالية تؤدي إلى تدرج المعاني و ترقيها في النص عموماً و في النص القرآني خصوصاً. و هي التي لا يكون قبلها إحدى الهمزتين. و اختلف في معناها، فقال البصريون: إنها تقدر بـ «بل» و الهمزة مطلقاً. وقال قوم: إنها تقدر بـ «بل» مطلقاً. و ذكر ابن مالك أن الأكثر أن تدل على الإضراب مع الإستفهام، و قد تدل على الإضراب فقط و لكونها قد تخلو من الإستفهام، دخلت على أدوات الإستفهام، ما عدا الهمزة. نحو «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ» (الرعد/16) (المرادي، 1992: 205-206).

فسنعرض في التالي، النماذج الدالة على هذا القسم من الإضراب أي الإضراب الإنتقالي بـ (أم) مشيرين إلى دلالة الإضراب في تدرج المعنى و ترقيته.

النموذج الأول

«وَ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» (الأحقاف/ 8-7).

«أَمْ» منقطعة أي بل يقولون افترى القرآن على الله في دعواه أنه كلامه (الطباطبائي، 1417: 188/18).

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ اضْرَابَ عَنْ ذَكَرَ تَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهُ سِحْرًا إِلَى ذَكَرَ مَا هُوَ أَشْنَعُ مِنْهُ وَإِنْكَارَ لَهُ وَ تَعْجِيبَ (فيض كاشاني، 1415: 12/5).

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ إضراب و انتقال من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية ما هو أشنع منها و هو الكذب عمداً على الله تعالى فإن الكذب خصوصاً عليه عزّ و جل متفق على قبحه حتى ترى كل أحد يشمئز من نسبته إليه بخلاف السحر فإنه و إن قبح فليس بهذه المرتبة حتى تكاد تعد معرفته من الأمور المرغوبة، و ما في أَمْ المنقطعة من الهمزة معنى للإنكار التوبيخي المتضمن للتعجب من نسبته إلى الافتراء مع قولهم: هو سحر لعجزهم عنه (الألوسي، 1415: 166/13).

نستنتج مما ورد حول هذه الآية من التفاسير، أنَّ أَمْ فيها منقطعة بمعنى بل و قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ اضْرَابَ عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ بَأَنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ إِلَى قولهم بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ اختَرَعَهُ و اختلقه. هذا الإضراب لا يبطل قولهم في القرآن بَأَنَّهُ سِحْرٌ بل يرتقي شناعتهم تدريجياً و يضرب بَأَمْ من أمر شنيع إلى أمر أشنع و هو الافتراء. فأضرب عن ذكر تسميتهم إياه سحراً إلى ذكر قولهم أن محمداً افتراه و نسج أسلوبه من صنعه و ذلك أشدّ سماجة من قبله فالله سبحانه و تعالى جعل أسلوب الإضراب في هذه الآية أداة لتدرج المعنى.

النموذج الثاني

«أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» (النساء/53-54).

تشير الآيتان إلى الصفات الرزيلة التي يمتلكها اليهود. فبعد ما أنكر أن يكون لهم شيء من الملك و وصفهم بالبخل انتقل إلى صفة أخرى ذميمة و هي شدة حسدهم لرسول الله (صلى الله عليه و سلم). فأم فيها منقطعة عند الجمهور فذهبوا إلى أنها بمعنى بل و الهمزة

على تقدير: بل أیحسدون على معنى الانتقال من توبيخهم بالبخل إلى ما هو شرٌّ منه و هو الحسد كما يقول الألوسی: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ انْتِقَالَ عَنْ تَوْبِيخِهِمْ بِالْبَخْلِ إِلَى تَوْبِيخِهِمْ بِالْحَسَدِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَقْبَحِ الرِّذَائِلِ الْمَهْلَكَةِ مِنْ اتَّصَفَ بِهَا دُنْيَا وَ أُخْرَى، وَ ذَكَرَهُ بَعْدَهُ مِنْ بَابِ التَّرْقِي، وَ أَمْ مَنْقُطَةٌ» (الألوسی، 1415: 55/3).

بناءً على ما ذكرنا استخدمت أم في هذه الآية كأسلوب الإضراب الإنتقالي بمعنى أنها لا تبطل ما سبقها من الصفات الرزيلة بل تشتد الصفات الرزيلة تدريجياً من البخل إلى الحسد. قيل: «إن الحسد من إفراط البخل لأن البخل منع النعمة لمشقة بذلها و الحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها، فالعمل فيهما على المشقة بنيل النعمة. و قد يتحول الحسد من عقدة نفسية إلى عداوة و كيد و مكر و تأمر» (فضل الله، 1419: 306/7).

النموذج الثالث

«كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الرُّبْرِ» (القمر/43-46).

ذهب بعض المفسرين إلى أن (أم) في الآيتين (43، 44) منقطعة بمعنى (بل) التي تفيد الإضراب الانتقالي مجتمعة مع الاستفهام تبيكيتاً وتوبيخاً، قال أبو السعود: «أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الرُّبْرِ إضرابٌ وانتقالٌ من التبيكيت بما دُكِرَ إلى التبيكيت بوجه آخر، أي: بل ألكم براءة وأمنٌ من تبعاتِ تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه؟ وقوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ إضرابٌ من التبيكيت المذكور إلى وجه آخر من التبيكيت،... أي: بل يقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأي أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام من الأعداء لا نُغلب» (أبو السعود، دت: 174/8).

النموذج الرابع

«أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (محمد/ 24).

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ؟ الاستفهام توبيخي أي أ فلا يتفهمون القرآن و يتصفحونه ليروا ما فيه من المواعظ و الزواجر، حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات؟! أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَا «أم» بمعنى «بل» و هو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر إلى توبيخهم على ظلمة القلوب و قسوتها حتى لا تقبل التفكير و التدبر و المعنى: بل قلوبهم قاسية مظلمة كأنها مكبلة بالأقفال الحديدية فلا ينفذ إليها نور و لا إيمان (صابوني، 1421: 196/3).

وكما نرى في تفسير هذه الآية الكريمة ، فقد اشتد توبيخ المشركين تدريجياً. أولاً: ذكر عدم التأمل و التدبر، وهو أمر قبيح انتفى إليهم، ثم اشتد هذا المعنى بواسطة أم التيمعنى بل و نسب إليهم إغلاق قلوبهم عن معرفة القرآن و الإسلام و كأنَّ علب قلوبهم أقفالاً تمنعهم من الإستدلال. فهذا التدرج في المعنى قد حدث في ظل أم، فلولا هذا الأسلوب أي الإضراب لما حدث هذا الترقيفي المعنى في الآية الشريفة.

3-3. فاعلية أو في تدرج المعاني

تقدم أن الإضراب معنييؤدي بعدة أحرف، فله حرف رئيسي هو (بل) و قد يؤدي ب(أم) المنقطعة و ب (أو) أيضاً جاء في شرح الرضي: «و تعي (أو) أيضاً للإضراب بمعنى(بل)، فلا يكون إذن بعدها إلا الجمل فلا يكون حرف عطف، بل حرف استئناف (الأستر آبادي، 1395: 396/4). فمن الحروف التي تفيد معنى الإضراب أو و هي التي تأتي في كلامنا بمعنى بل إذا قصد بها الإضراب الإبطالي الحادث بسبب الخطأ أو النسيان في القول، مثل أن تقول: إقرأ النحو أو الصرف. فقد أخطأ المتكلم أو نسي، فأضرب عن الأول، وَصَحَّحَ خطأه، فجاءت أو في الجملتين بمعنى بل والإضراب هنا إبطالي؛ لأنه لتصحيح خطأ، أو استدراك لسهو ونسيان، وعادة ما تقع أو في هذا النوع من الإضراب بين مفردين. هذا النوع من أو التي للإضراب الإبطالي لا يوجد في القرآن الكريم، وقد جاءت أو في القرآن الكريم بمعنى بل في مواضع كثيرة لكنها كلها تفيد الإضراب الانتقالي، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

النموذج الأول

«وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» (النحل/77)

في هذه الآية استخدم القرآن فيالتعبير عن سرعة وقوع الساعة و مجيئها اسلوب التشبيه و شبهها بلمح البصر ثم ترقى المعنى بـ أو التيهي بمعنى بل. و لو اختلف اللغويون في تأويل بل في هذه الآية اختلافا عظيما، فمنهم من جعلها على ما وضعت له من دون تأويل، ومنهم جعلها للشك، ومنهم من جعلها للإيهام على المخاطب، وقال بعضهم إنها للشك المصروف إلى السامع، على سبيل الحكاية عنه. أما ابن عاشور فقد رأى فيها رأيا حسنا، قال: «ولفظ «أو» في «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ لَيْسَ لِلشَّكِّ، بَلْ لِلتَّمْثِيلِ وَمَجِيءِ السَّاعَةِ بِسُرْعَةٍ مِنْ جُمْلَةِ مَقْدُورَاتِهِ وَأَوْ فِي «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» لِلإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي، إِضْرَابًا عَنِ التَّشْبِيهِ الْأَوَّلِ بِأَنَّ الْمُشَبَّهَ أَقْوَى فِي وَجْهِ الشَّبَهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، فَلَا تُكَلِّمُ يُخَيِّلُ لِلْسَّامِعِ أَنَّهُ يُرِيدُ تَقْرِيبَ الْمَعْنَى إِلَيْهِ بِطَرِيقِ التَّشْبِيهِ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِأَنَّ الْمُشَبَّهَ أَقْوَى فِي وَجْهِ الشَّبَهِ وَأَنَّهُ لَا يَجْدُ لَهُ شَبِيهًا فَيُصَرِّحُ بِذَلِكَ فَيَحْصُلُ التَّقْرِيبُ ابْتِدَاءً ثُمَّ الْإِعْرَابُ عَنِ الْحَقِيقَةِ ثَانِيًا» (ابن عاشور، 1420: 185/3).

لذلك، فإن أسلوب الإضراب في هذه الآية الكريمة ليس مجرد أسلوب بلا دلالة بل له دلالة خاصة به و هو كما ذكرنا يدل على تدرج المعنى و ترقيه لأن سرعة وقوع الحادث تزداد شدة تدريجياً. و لو لم يتم استخدام هذه الطريقة لما كان بإمكاننا أن نستنتج هذه الدلالة.

النموذج الثاني

«فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» (النجم/9)

لقد اختلف المفسرون في تأويل أو ، فمنهم مَنْ عَدَّهَا عَلَى أَصْلِ مَعْنَاهَا، قَالَ أَبُو السَّعُودِ: «أَوْ أَدْنَى أَيُّ عَلَى تَقْدِيرِكُمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَزَيْدُونَ وَالْمَرَادُ تَمَثِيلُ مَلَكَةِ الْإِتِّصَالِ وَتَحْقِيقُ اسْتِمَاعِهِ لِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِنَفْيِ الْبُعْدِ الْمَلْبَسِ» (أبو السَّعُودِ، د.ت: 8/155). ومنهم قال أنها بمعنى بل ومنهم من قال بغير ذلك، نقل الشوكاني عن الزجاج: «أي: فيما تقدرون أنتم، والله سبحانه عالم بمقادير الأشياء، ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا، وقيل: أو بمعنى الواو، أي: وأدنى، وقيل: بمعنى بل أي: بل أدنى» (الشوكاني، 1414: 127/5).

و إن إختلف المفسرون في تأويل أو لكنّه جديرٌ بالذكر بما أن التعبير القرآني هنا يعبر عن حقيقة لا يمكن الشك بها أو إنكارها، و الإضراب بـ (أو) وظّف للمخاطب غير المنكر الذي لا يتطرق الشك أو الإحتمال إلى قلبه و عقله فيقوّي مجيء أو بدلاً من بل.

لقد أشارت هذه الآية إلى مدى القرب بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و جبريل (ع) في حالة تجلّي جبريل (ع) في صورته الحقيقية له و ضمّه إلى نفسه و اقترّب منه. كما نلاحظ ابتداءً بالمعنى الأقل شدة (قاب قوسين) ثم انتقل بواسطة الإضراب الإنتقالي التدريجي إلى المعنى الأقوى و الأشد (أدنى) و اتخذ من الرقي و التدرج في الدلالة بغية للتأثير الأفضل في المتلقي. و كلما كان التعبير عن معنى ما تدريجياً زاد تأثيره على نفس المتلقي.

النموذج الثالث

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْشَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهِيهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (البقرة/74).

لقد استخدم في هذه الآية أو بمعنى بل للإضراب الإنتقالي لا الإضراب الإيطالي لأنّ هذا الكلام مقول الله سبحانه و تعالي. شبه قلوب الكفار بالحجارة في القساوة و لم يكتف بذلك لشدة قساوتهم نتيجة لتوغلهم في الكفر فأضرب عن الحجارة إلى أشد منها بـ (أو). فنرى ترقّي المعنى و تدرجه في هذه الآية باستخدام أسلوب الإضراب واضحاً. و يؤيد قولنا في أو قول هوارى في تفسيره حيث يقول: «قوله: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً: أو في هذا الموضع بل، أى: بل هي أشد قسوة. و هو كقوله: «و أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» (الصفّات/ 147) أى: بل يزيدون (هوارى، 1426: 116/1).

النموذج الرابع

«فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» (البقرة/200).

قوله تعالى: فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ: ذِكْرًا، دعوة إلى ذكر الله و البلاغ فيه بأن يذكره الناسك كذكره آباءه و أشد منه لأن نعمته في حقه و هي نعمة الهداية كما ذكره بقوله تعالى: «وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ» أعظم من حق آبائه عليه، و قد قيل: إن العرب كانت في الجاهلية إذا فرغت من الحج مكثت حيناً في منى فكانوا يتفاخرون بالآباء بالنظم و النثر فبدله الله تعالى من ذكره كذكرهم أو أشد من ذكرهم، و أو في قوله أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ، للإضراب فتفيد معنى بل، و قد وصف الذكر بالشدة و هو أمر يقبل الشدة في الكيفية كما يقبل الكثرة في الكمية قال تعالى: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا:» (الأحزاب/ 41)، (الطباطبائي، 1417: 80/2).

فبعد ما أمرهم الله تعالى أن يذكره بالعبادة و الدعاء كما يذكرون آبائهم أضرب عنه و انتقل إلى كلام غيره، لأنّ مفاخر آبائهم مهما كثرت لا ينفعهم ذكرها، و مهما أعطوا من صفات و أموال فهي قليلة بالنسبة لعطاء الله، أما صفات الكمال لله عزّ و جلّ فهي غير متناهية، وجوده لا يُحد، لذا يجب عليهم أن يشتغلوا بذكر الله أكثر من ذكر آبائهم لأنّه هو المستحق للعبادة و الشكر و الثناء. و يقول القفال: و مجاز اللغة في مثل هذا معروف، يقول الرجل لغيره، افعل هذا إلى شهر أو أسرع منه، لا يريد به التشكيك، و إنما يريد به النقل عن الأول إلى ما هو أقرب منه (اليماني، 1990: 246).

ما يمكن استنتاجه من الأمثلة المذكورة هو أن هناك علاقة عميقة بين القضايا النحوية والقضايا الدلالية والبلاغية. و هذه الصلة وطيدة مكيّنة بين البلاغة و النحو فالبلاغة و ثمارها نتيجة طبيعية لإقامة قانون النحو و تطبيق قاعدته، فما النظم في دقائقه إلا نحو معلل في جملته (الخنين، 1996: 602). فتعليل الظواهر النحوية و التنقيير عن أسرارها يفضي إلى نكات بلاغية لطيفة و أسرار بيانية دقيقة.

الخاتمة

يستفاد مما سبق أنّ عملية إقناع المخاطب من أهم الأغراض التي استخدمت القرآن الكريم استراتيجيات مختلفة للوصول إليه و من تلك الإستراتيجيات هو التدرج الذي له فاعلية هامة في المجالات المتعددة منها التدرج في المعنى و ترقيه ليكون له الأثر الكبير في

متلقيه. وقد خلص البحث إلى أنَّ أسلوب الإضراب يعتبر من أهم الوسائل التي استخدمه القرآن لتدرج المعنى و الإضراب بنوعها الإبطالي و الإنتقالي موجود في القرآن إلا أنَّ الإبطال الوارد في القرآن ليس عن غلط أو نسيان بل هو لإبطال أقوال الكفرة. ألفينا الإضراب الإنتقالي وروده في القرآن أكثر من ورود الإضراب الإبطالي. و الذي له دورٌ بناءً في ترقى المعنى و تدرجه هو الإضراب الإنتقالي لأنَّه لا يبطل ما قبل أحرف الإضراب بل ينتقله إلى ما بعده و يشتد المعنى به تدريجياً لكي يؤثر على المتلقين. و لمس البحث بأنَّ القرآن الكريم استثمر أحرف، بل، أم و أو كآليات الإضراب في التعبير القرآني بحسب إقتضاء الآيات و لكل منها دلالة خاصة بها. و قد ألفينا أنَّ حرف بل توحى دلالة الإضراب الإنتقالي التدريجي في اثنين و تسعين موضعاً في القرآن و استخدمت كثيراً ما في توبيخ الكافرين، و أيضاً بدا لنا أنَّ أم المنقطعة في استخدامها كالإضراب الإنتقالي حقق تشديد المعنى تدريجياً من الشنيع إلى الأشنع كثيراً ما استعملت في توبيخ المنكرين و تقبيحهم. و أمَّا بالنسبة إلى أو فقد وجدنا أنَّ التعبير القرآني خاطب بها في معظم ورودها المؤمنين و يزداد المعنى بها تدريجياً و يشتد من الشديد إلى الأشد و من الأدنى إلى الأعلى. فبالنسبة إلى الأسئلة البحث نستطيع أن ندعي أنَّ الإضراب له فاعلية بارزة في تدرج المعنى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الالوسي، محمد، (1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق، علي عبدالباري عطية، الطبعة 1، بيروت، دار الكتب العلمية.

أبو السعود، محمد بن محمد، (د.ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن فارس، احمد بن فارس، (1404هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق، هارون عبدالسلام محمد، قم، مكتب الاعلام الاسلامي.

ابن قتيبة، (1973م)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، ط2، بيروت، دار التراث.

ابن عاشور، محمدطاهر، (1420هـ)، تفسیر التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت، دارصادر.

الأستر آبادي، محمد، (1395هـ)، شرح الرضي على الكافية، المحقق، يوسف حسن عمر، تهران، منشورات مؤسسة الصادق.

آل عرعور، عدنان، (2005م)، منيح الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، الطبعة 1، الناشر، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

الأنباري، أبو البركات ؛ الأنصاري عبدالرحمن بن محمد، (1999م)، أسرار العربية، دارالأرقم بن أبي الأرقم.

التفتازاني، سعد الدين، (1992م)، شروح التلخيص، ط4، بيروت، دارهادي.

الثقفي، سعاد فريح، (2003م)، المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن البناء، رسالة الماجستير، مكة، جامعة أم القرى.

الجرجاني، علي بن محمد، (1983م)، التعريفات، ضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

الجمال العجيلي، سليمان بن عمر، (1996م)، الفتوحات الإلهية، ط، بيروت، دارالكتب العلمية.

حبكة الميداني، عبد الرحمن حسن، (1996م)، البلاغة العربية، ط1، دمشق، دارالقلم.

الخين، ناصر بن عبد الرحمن، (1996م)، النظم القرآني في آيات الجهاد، الطبعة 1، الرياض، مكتبة التوبة.

الزمخشري، محمود بن عمر، (1407هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، المصحح، حسين احمد، مصطفى، ط3، بيروت، دارالكتاب العربي.

السيرافي، يوسف بن أبي سعيد، (1974م)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق، محمد علي الريح هاشم، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد، (1414هـ)، فتح القدير، ط1، دمشق، دارابن كثير.

الصابوني، محمد علي، (1421هـ)، صفوة التفاسير، ط1، بيروت، دارالفكر.

الطباطبائي، محمد حسين، (1417هـ)، الميزان في تفسير القرآن، ط5، قم، انتشارات جامعه مدرسين حوزه علميه.

استراتيجية تدرج المعنى في القرآن في ظل الإضراب (بل، أم، و أو أنموذجاً)

عباس، حسن، (د.ت)، النحو الوافي، ط5، القاهرة، دارالمعارف.

عبدالرحمن، منصور، (1980م)، مصادر التفكير النقدي و البلاغي عند حازم القرطاجني، القاهرة، مكتبة الأنكلو المصرية.

الفراء، أبوزكريا، (د.ت)، معاني القرآن، القاهرة، دارالمصرية للتأليف والترجمة.

فضل الله، محمدحسن، (1419هـ)، تفسير من وحي القرآن، ط2، بيروت، دارالملاك للطباعة والنشر.

فيض كاشاني، محمدبن شاه مرتضى، (1415هـ)، تفسير الصافي، ط2، تهران، مكتبة الصدر.

المطلق، إبراهيم بن عبد الله، (1417هـ)، التدرج في دعوة النبي، الطبعة الأولى، الناشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

المرادي، أبو محمد، (1992م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق، فخر الدين قباوة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

محي الدين، درويش، (1415هـ)، اعراب القرآن الكريم و بيانه، ط4، سورية-حمص، الإرشاد.

المظهري، محمد ثناء الله، (1412هـ)، التفسير المظهرى، ط1، باكستان، المكتبة الرشدية.

الهوارى، هود بن محكم، (1426هـ)، تفسير كتاب الله العزيز، الجزائر، دارالبصائر.

اليمني، إنجا إبراهيم يحيى، (1990م)، أساليب الإضراب و الإستدراك في القرآن الكريم، رسالة الماجيستر، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.

Sources and references

Holy Quran

Al-Alusi, Muhammad (1415 AH). The spirit of meanings in the interpretation of the Great .Quran. Investigation: Ali Abdel Bari Attia. First edition. Beirut: House of Scientific Books

Abu Al-Saud, Muhammad bin Muhammad. (D.T). Guiding a sound mind to the merits of the .Qur'an, i1. Beirut: Arab Heritage Revival House

Ibn Faris, Ahmed bin Faris (1404 AH). A Dictionary of Language Measures, Investigator/ .Corrector: Harun, Abdul Salam Muhammad. Qom: Islamic Information Office

Ibn Qutayba. (1973 AD). Interpretation of the problem of the Qur'an. Investigation: Ahmed .Saqr. 2nd floor, Beirut: Heritage House

Ibn Ashour, Muhammad Taher (1420 AH). Interpretation of liberation and enlightenment .known as the interpretation of Ibn Ashour. Beirut: Foundation for Arab History

Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram. (1414 AH). Lisan Al Arab, 3rd Edition. Beirut: Dar .Sader

Al-Aster Abadi, Muhammad bin Al-Hassan. (1395 AH). Explanation of Al-Ridha Ali Al-Kafi. .Investigator: Youssef Hassan Omar. Tehran: Al-Sadiq Foundation Publications

Al Arour, Adnan bin Muhammad. (2005 AD). Advocacy approach in the light of contemporary reality. First edition. Publisher: Nayef bin Abdulaziz Al Saud International Prize for the .Prophet's Sunnah and Contemporary Islamic Studies

Al-Anbari, Abu Al-Barakat; Al-Ansari Abdul Rahman bin Muhammad. (1999 AD). Arabic .Secrets. Al-Arkam Bin Abi-AlArkam's house

.Al-Taftazani, Saad Al-Din. (1992). Clearance Annotations. I 4. Beirut: Hadi's House

Al-Thaqafi, Souad Freeh. (2003 AD). The Critical and Rhetorical Terminology of Ibn al-Banna', .Master's Thesis, Mecca: Umm al-Qura University

Al-Jurjani, Ali bin Muhammad.(1983 AD). Tariffs. It was seized by a group of scholars under .the supervision of the publisher. 1st floor, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya

Al-Jamal Al-Ajili, Suleiman bin Omar. (1996 AD). Divine Conquests, 1st Edition. Beirut: House .of Scientific Books

Habanka Al-Maidani, Abdul Rahman Hassan. (1996 AD). Arabic Rhetoric, 1st Edition. .Damascus: Dar Al-Qalam

Al-Khanin, Nasser bin Abdul Rahman. (1996 AD). Quranic systems in the verses of jihad, first .edition. Riyadh: Al-Tawbah Library

Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar (1407 AH). Uncovering the facts of the mysteries of revelation and the eyes of gossip in the face of interpretation. Corrected by: Hussein Ahmed, .Mustafa. i 3. Beirut: Arab Book House

Al-Sirafi, Yusuf bin Abi Saeed Al-Hassan bin Abdullah.(1974 AD). Explanation of Sibawayh's verses, achieved by: Muhammad Ali Al-Rih Hashem. Cairo: Dar Al-Fikr for printing, publishing .and distribution

.Al-Shawkani, Muhammad. (1414 AH). Open the Almighty. i 1. Damascus: Ibn Kathir House

.Al-Sabouni, Muhammad Ali (1421 AH). Safwat Al-Tafseer, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Fikr

Tabatabai, Muhammad Husayn (1417 AH). The balance in the interpretation of the Qur'an. I 5. .Qom: Islamic Seminary Book of Teachers University, Qom Seminary

.Abbas, Hassan (DT). Adequate grammar. i 5. Cairo: House of Knowledge

Abdul Rahman, Mansour. (1980 AD). Sources of critical and rhetorical thinking according to .Hazem Al-Qirtagni. Cairo: The Egyptian Anglo Library

Al-Farra, Abu Zakaria (D.T). The meanings of the Qur'an. Cairo: The Egyptian House for .Writing and Translation

Fadlallah, Muhammad Hassan. (1419 AH). Interpretation of the Qur'an. i 2. Beirut: Dar Al .Malak for printing and publishing

Fayd Kashani, Muhammad bin Shah Murtada. (1415 AH). net interpretation. i 2. Tehran: Al- .Sadr Library

Al-Mutlaq, Ibrahim bin Abdullah. (1417 AH). Graduation in the call of the Prophet. First .edition. Publisher: Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance

Al-Muradi, Abu Muhammad. (1992 AD). The Proximate Genie in the Letters of Meanings, .achieved by: Fakhr Al-Din Qabawah. i 1. Beirut: House of Scientific Books

Mohieldin, Darwish. (1415 AH). The expressions of the Noble Qur'an and its statement. I 4. .Syria-Homs: Guidance

Al-Mazhari, Muhammad Thana Allah (1412 A.H.). Al-Mazhari interpretation. i 1. Pakistan: Al
.Rashidiya Library

Al-Hawari, Hood bin Muhakam (1426 AH). Interpretation of the Holy Book of God. Algeria:
.House of Insights

Al Yamani, Enga Ibrahim Yahya. (1990 AD). Methods of Strike and Correction in the Noble
Qur'an. Master's Thesis, Saudi Arabia, Umm Al-Qura University. College of the Arabic
.Language